استيعاب المد الجماهيري الذي ولدته الثورة الفلسطينية وتنظيمه فبقي كما قلنا ، قوة عفوية ، غير قادر على أن يعطي كل طاقاته للمعركة .

ولا نستطيع أن ننكر ان هذه العوامل التي ذكرناها لعبت دورها — بمستويات مختلفة — في تجسيد سلسلة من العقبات التي أعاقت العمل الفلسطيني عن تأدية دوره بشكل أفضل مما تم حتى الآن . وهي مسؤولة — بمستويات مختلفة — عن التراجعات التي اضطرت حركة المقاومة للقيام بها دون أن نقلل مطلقا من شأن أخطائنا نحن .

التخطيط الاسرائيلي

بينما كانت الثورة الفلسطينية تواجه هذه العوامل التي ذكرناها ، كانت اسرائيل تباشر تنفيذ خطتها الدائمة في مقاومة العمل الفدائي من خلال ضرب الاقطار العربية نفسها . وقد أعلنت اسرائيل ذلك علنا وبوضوح وعلى لسان أكثر من مسؤول كبير فيها . وهدف اسرائيل من وراء ذلك اجبار الانظمة العربية على أن تقوم بنفسها بالتضييق على العمل الفدائي وضربه ، تخلصا من تهديد الهجمات الاسرائيلية . كذلك خلق التناقض بين العمل الفدائي والانظمة ، وبين العمل الفدائي والجماهير التي تتعرض للقصف والغارات ليحاط العمل الفدائي بجو من العداء والرفض . وقد كان هذا المخطط الاسرائيلي يفرض عملية من التعبئة داخل هذه الانظمة ، تزيد فيها من قوتها العسكرية وتلجأ الى تسليح جماهيرها لمواجهة الاعتداءات الاسرائيلية التي تخفي وراءها أطماعا بالاراضي والمياه العربية موازية للرغبة في ضرب العمل الفدائي . ولكننا وجدنا بدلا من ذلك ، أن بعض هذه الانظمة قد استجاب لضغط التخطيط الاسرائيلي ، أكثر مما استجاب لدور العمل الفدائي في التصدي لهذا التخطيط . وأبرز الامثلة على ذلك : (١) النظام الاردني الرجعي الذي استغل قصف اسرائيل المتصل لمنطقة الاغوار لتعبئة سكان هذه المناطق تعبئة أقليمية حاقدة سعت جهدها للتفريق بين الفلسطيني والاردني . ثم بلغ هذا التخطيط ذروته في مجزرة أيلول . (٢) النظام اللبناني الذي سعى اثناء الاعتداء الاخير على جنوب لبنان الى الضغط على حركة المقاومة لتسحب قواتها من المنطقة . ومرة اخرى يطلب من العمل الفدائي ان يواجه الاحتلال الاسرائيلي وأن يحقق المعجزات حتى ينجو من النقد الذي يتعرض له ، وهو يواجه مهمة حماية نفسه والاحتفاظ بوجوده في لبنان قبل أن يواجه الاعتداءات الاسرائيلية . فهل نستطيع أن نتناسى هذه الامثلة العربية ونحن نقيم ونحاسب الثورة الفلسطينية ؟

صورة المستقبل

ان هذه المشكلات التي ذكرناها سواء على الصعيد العربي أم على الصعيد الاسرائيلي لا يمكن فصلها عن تحديد صورة مستقبل الثورة الفلسطينية . وفي تحديد هذه الصورة يجب أن ينصب التركيز مرة أخرى على الترابط النضالي الفلسطيني العربي من ضمن اطار الدور الفلسطيني الخاص الذي تحدثنا عنه ، ذلك ان تطور العمل الفدائي الفلسطيني مرهون في نظرنا بقضيتين : القضية الاولى : أن يتوقف تآمر الانظمة العربية على الثورة الفلسطينية ، اما خوفا من وجود السلاح في أيدي الجماهير واما خوفا من التيارات الجماهيرية المناضلة التي توجدها حولها ، واما هربا من الاعتداءات الاسرائيلية ومن نتائجها . القضية الثانية : أن تنمو القوة العربية الذاتية باستمرار لتشكل قوة دعم فعالة للعمل الفدائي وقوة ردع أيضا للتهديد الاسرائيلي . في ظل هاتين القضيتين يمكن للعمل الفدائي ان ينمو . ومن الظلم الفادح أن يناقش نمو العمل الفدائي وأن تقيم نتائجه بعيدا عنهما ، اذ بمقدار ما تنمو القوة العربية الذاتية بمقدار ما ينعكس ذلك على النضال الفلسطيني مهيئا له ظروف الانطلاق الصحيح وظروف التوجه نحو الاهداف الحقيقية التي عليه أن ينشغل فيها بدل انشغاله في حماية نفسه .